ـــ لان لبنان لم يتطور بكيانه السياسي الحالي الا منذ عام ١٩١٦ ـــ لم نزل نعيش في نفسيتنا ومن خلال طوائفنا ومذاهبنا ، الهرطقات القديمة التي تمثلت قبل الاسلام وبعد الاسلام في هذا المحيط العربي الحديث الواسع . أضف الى ذلك ان الحركة الوطنية ، خاصة في الاوساط المسيحية ، لم تعط الفرصة لتظهر وتتقوى ، خصوصا ان الدولة بعد عام ١٩٥٨ اعتمدت على بعض العناصر الانعزالية اللبنانية التي تمثل بشكل واضح نسمة الهرطقة ، اذا جاز التعبير ، أو رياح هذه المذهبية القديمة . ان عهد الرئيس فؤاد شهاب وعهد الرئيس شارل حلو والعهد الحالي لم يعطوا مجالا للشخصيات الوطنية المسيحية وللأجيال الجديدة المسيحية بأن تتمثل في الحكم وأن تتقوى بواسطة الحكم ، لان الحكم هو وسيلة لتقوية الافكار وللخروج من البنى القديمة كما ظهر ذلك جليا في حقبة الاستقلال الاولى عندما فرض فيها بشارة الخوري وعدد من الدستوريين توجيها وطنيا ساحقا في الاوساط المسيحية .

وقد نما هذا الخوف لدى الاغلبية من المسيحيين بشكل خاص بعد الوحدة التي قامت بين مصر وسوريا وتغلب على بعض النفوس بسبب سوء تصرف الجانب المسلم ، او انقياده هو ايضا الى لون من الصنميات الطائفية، وقد تغلغل هذا الخوف وتأكد لظروف لن أذكرها هنا لافسح المجال لغيري في الحديث .

مقابل هذا الخوف نشأ ما أسميه الخشية الفلسطينية ، فالشعب الفلسطيني لا يزال يعيش أيضا ضمن رواسب تذكره بما كان عليه قبل ثورته في المخيمات وبممارسات السلطة اللبنانية والمكتب الثاني بشكل خاص قبل ان تحرره الثورة من سوء المعاملة التي كان الوجود الفلسطيني رافضا لها . ان الشعب الفلسطيني لا يزال يخشى العودة الى السابق ولا يطمئن للحكم اللبناني بوصف هذا الحكم لا يمثل اتجاها وطنيا بالمعنى الصحيح للكلمة . ذلك ان رواسب الانعزالية لا تزال فيه ، ولا يزال يمثل أيضا ، بشكل واسع ، هذه الانعزالية المسيحية في الحكم وفي الادارة وفي الجيش . ان الامر سيكون مختلفا لو اطمأن الفلسطينيون الى أن الحكم في لبنان هو حكم وطني وليس فقط قشرة وطنية يتلبس بها في الداخل ويتزيف بها في الخارج دون ان يكون له فعلا بنية وطنية عميقة تقوم على أصول الثورة الوطنية التي حدثت في البلاد عام ١٩٤٣ والتي رمز اليها بنشاطهم وبتمثيلهم الشيخ بشارة الخوري ورياض الصلح ومن لف لفهما من المسيحيين الوطنيين ، وهم كثرة ، من أمثال ميشال زكور ، الذي توفي في عهد سابق ، وحميد فرنجية ، وغيرهما من الشخصيات المسيحية البارزة التي طبعت في ذلك الوقت المسيحيين بطابعها الوطني المتطور .

ان هذه الخشية الفلسطينية التي تقابل الخوف المسيحي هي ، في نظري ، سبب معظم المشاكل التي نعيش في جوها . اما اذا اطمأن الفلسطينيون الى وجود سلطة وطنية فاني أتصور انه لن يكون لديهم مانع في أن يدخل الحكم اللبناني الى المخيمات ، وان يصبح الشرطي اللبناني هو الذي يمارس صلاحية الامن اليوم داخلها .

ينبغي أن نضيف هنا عنصرا آخر يجعل الخوف المسيحي مستعرا ، هو الخوف من التيارات الفكرية ؛ فالثورة الفلسطينية أخذت تجرف اللبنانيين ـــ مسيحيين ومسلمين وعلى اختلاف نزعاتهم ـــ في تيارها. ذلك ان من يعايش الثورة لا بد أن يتأثر بها خاصة ضمن النظام الديموقراطي البرلماني الموجود في هذا البلد .

مسؤولية النظام المتحجر

العنصر الثالث (بالاضافة الى الخوف اللبناني والخشية الفلسطينية) والذي له